

رثاء من شاعر الأهلية إلى الفقيه أحمد الحوراني

سادَ الظَّلامُ ونُورُ الله لا يَخفى
و دُموعنا بِفراقِ مِشكاةٍ تضيءُ الكَوْنَ لن تَنشفى
قُلْ هذه الأعمارُ مَرسومٌ نَهايتُها
فَلن نَبقى ولن تَبقى خَزائِننا
و لن نَرقى سِوى بالِعلمِ والإيمانِ والفُضلى

فقدنا اليومَ نِبراساً
فقدنا اليومَ إحساسا
فقدنا مَنجَمَ الآدابِ والأخلاقِ والحُسنى
فقدنا أحمدَ الباني
فقدنا زهرَ نَيسانِ
نَظمنا أجملَ الأبياتِ كى تَبقى بوجداني
لنَسرى في مُخيلتي وفي عَقلي و شيرباني

الموتُ ورثُ الشائِبينَ ودَربُهُم
وفَريضَةُ الخَلاقِ مُنذُ نَشأتِ أمتي

يا صاحِبَ اللَحنِ المُقدَّسِ بيننا
يا عازِفَ الأماجِدِ صُننتِ عُرُوبتي
ما زالَ صوتُكَ في مِئاذِنِ صَرجنا
يَهمي بِدمعي يَستَفيقُ بِلوعتي

ظَلَّت حُرُوفُكَ في القُلُوبِ تُدرِّسُ
وحُرُوفُ غَيرِكَ في أواخرِ عِصمتي

أنتَ المُسَطِّرُ في دفاتِرِ بَأْسِنَا
أنتَ المُرَبِّي حِينَ تَاهَتِ أمتي
أستاذُنَا و وزيرُنَا
و عَمِيدُ العِلْمِ في تاريخِنَا

عَدَّيْتِ لِلأَمَلِ الطُمُوحَ وكم ترى؟
من شاعرٍ في كُلِّ صَرَحٍ يَهْتَفُ
وَرَفَعَتْ رايَاتِ المَحَبَّةِ بيننا
والباحِثُونَ عن المَحَبَّةِ أسرفوا

وَتَبَّتْ حِينَ المائِلُونَ تمايلوا
وَرَسَخَتْ حِينَ الجاهِلُونَ تَخَلَّفُوا
وَسَمَخَتْ بالرأيِ المُسَدِّدِ دائِمًا
وَبالأذْهانِ ظَلَّتْ حُرُوفُكَ مَوْقِفُ

هذا الرِّثاءُ مِنَ الفُؤادِ بُحورُهُ
ومن العُيونِ الدامياتِ الأَحْرُفُ
فإِذا رَثَيْتُكَ فالرِّثاءُ لِشاعِرٍ
ما زالَ من قَطراتِ عِشيقِكَ يَرشُفُ

ماذا أقولُ وفي الجوارِحِ عَصَّةُ
والذكرياتِ كَثيرةٌ لا تُسَعِفُ

فكُتبتِ عَنِّي في المِجلَةِ يَوْمَها
وَسَمِعْتُ أبياتِ المَديحِ المُنصِيفُ

يا أحمدُ يا أبا الحاني الذي
عليَّ وعلينا مَنْ كانَ مِثْلَكَ أَرنُفُ

يا أيها الصديقُّ يا قمرَ الدُّجى
يا من له كُلُّ الكواكبِ تُكسِفُ

العينُ بعداك لم يجفَّ نزيُّها
إن الغيُونَ على الغوالي تُذرفُ

لك كُلُّ فضلٍ سوف تُجزى خيرَه
ولك الجنانُ العالياتُ تُزخرِفُ

سأظلُّ أكتبُ عنك ما طالَ المدى
لأدرسَ الأجيالَ من هو أحمدُ

محمد العتوم

2016/1/12